ظاهرة العنف الاجتماعي بين الأبناء في الأسرة الليبية الأسباب والآثار

أ. رحومة علي سليمان
كلية التربية يفرن– جامعة الزنتان

تمهيد:

يعتبر العنف من مظاهر السلوك التي عرفتها المجتمعات البشرية فبالرغم من التغيرات والتطورات التي طرأت على المجتمع الليبي فما زالت صوره وأشكاله من الصعب الحد منها، أو القضاء عليها، فالعنف ظاهرة اجتماعية من الظواهر التي صاحبت الإنسان خلال تواجده في المجتمع القديم، قدم الإنسان نفسه، والعنف وإن كان قريباً أو بعيداً يتخذ مظاهر أخرى داخل المجتمع المحلي كغيره من الأشكال.

وانطلاقاً من أن العنف ظاهرة تؤثر على أفراد المجتمع فأن من الضروري الاهتمام بهذه الظاهرة وتناولها بالدراسة والتحليل.

ويعتبر العنف من الموضوعات المهمة التي يجب تناولها داخل الأسرة ويجب دراسة اسبابها الاجتماعية والآثار المترتبة عنها اجتماعياً، واقتصادياً، ونفسياً.

وأصبح العنف يهدد أمن وسلامة الأسرة عليها من الداخل والخارج، ويؤدي في النهاية إلى انهيار العلاقة الأسرية نفسياً، واجتماعياً، والعنف يعد من أهم المشاكل التي تواجه الأسرة في جميع المجتمعات العربية في عصرنا الحاضر، ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم مشكلة العنف في الأسرة إما أسباب اجتماعية، أو نفسية، أو اقتصادية، بالإضافة إلى عدم وجود حوار أسري بين أفراد الأسرة، مما أدى إلى ازدياد المشكلة بشكل واسع في المجتمع، ولكبر حجم الأسرة دوراً في زيادة العنف داخلها، وكذلك تدني المستوى التعليمي والثقافي للوالدين قد يزيد من العنف داخل الأسرة، وكذلك انخفاض المستوى الاقتصادي يزيد أيضاً من حدوث العنف داخل الأسرة، ومن خلال هذا التمهيد ينطلق بحثنا من خلال الآتي:

مشكلة البحث:

يسعى هذا البحث إلى وصف وتحليل موضوع هام في الدراسات الاجتماعية ، تتمثل في دراسة ظاهرة العنف الاجتماعي بين الأبناء، لما له من أهمية في المجتمع الليبي، حيث ترتبط ارتباطاً كبيراً بالبناء الأسرى، وإن دراسة الأسباب الآثار الناجمة عنه تشكل مشكلة تحتاج إلى البحث والدراسة وخاصة في المجتمع المحلي الليبي، وذلك للوقوف على أهم مسبباتها والنتائج المرتبطة به، ويمكن تحديد ابعاد آفاق مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

تساؤلات البحث:

- ما هي الأسباب المؤدية لظاهرة العنف عند الأنباء في الأسرة ؟
- ما هي صور وأشكال العنف الأكثر انتشاراً بين الأبناء في الأسرة؟
- هل يوجد العنف داخل الأسر الكبيرة ؟
- هل للمستوى الاقتصادي علاقة بظاهرة العنف في الأسرة؟
- ما علاقة المستوى التعليمي بالعنف داخل الأسرة؟
- هل تسبب النزاعات والخلافات بين الزوجين في حدوث العنف في الأسرة؟
- هل حب السيطرة للأبناء الذكور سبباً في حدوث العنف بين الأبناء في الأسرة؟

أهمية البحث:

تتبلور أهمية البحث في النقاط التالية:

- تتضح أهمية هذا البحث في أن موضوع العنف داخل الأسرة، ولا سيما بين الأبناء يعد من الموضوعات الجديرة بالاهتمام في علم الاجتماع، لأنه يتوقف على تربية الأبناء داخل الأسرة .
- تتمثل أهمية هذا البحث في أنه يعد محاولة لوضع بعض الحلول الوقائية لهذه الظاهرة داخل الأسرة

أهداف البحث:

- التعرف على الأسباب المؤدية لظاهرة العنف بين الأبناء داخل الأسرة.
- توضح لنا هذه الدراسة أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث ظاهرة العنف داخل الأسرة، والتي تؤثر في تكوين العلاقات الأسرية.

- التعرف على العلاقات بين بعض الأسباب (كالمستوى الدراسي – والاقتصادي – وكبر حجم الأسرة) وظاهرة العنف بين الأبناء داخل الأسرة.
- محاولا البحث: التوصل أهم النتائج والحلول المقترحة لبعض المشكلات الناتجة عن العنف داخل الأسرة ولا سيما الأبناء.

مفاهيم البحث:

سوف يعتمد البحث على بعض المفاهيم الرئيسية منها :

1. العنف:

أ- العنف هو ما يتسم بسمات الأداء الفردي والجماعي، الأداء المنطلق من مبادرة عنيفة أو المبني على استجابات عنيفة.

ب- العنف تجربة نفسية اجتماعية، قوامها إيذاء الآخرين، ولكنها لا تنفصل عن تغيرات المجتمع وثقافاته السياسية، ومحيطاتها الإقليمية والدولة .

جـ- المعنى الأساسي للعنف الاجتماعي هو عدم الاعتراف بالآخر، ورفضه والرغبة في تحويله شيئاً مناسباً للحاجة العنيفة .

2- الأسرة: Famille:

تعتبر الأسرة هي صورة التجمع الإنساني الأول، وهي جماعة أولية بمعنى أنها أساس الإنجاب، والتطبع الاجتماعي للجيل التالي، وهي كذلك الأصل الأول لعادات التعاون والتنافس، التي ترتبط بإشباع الحاجات إلى الحب والمركز الاجتماعي .

يمكن وضع مجموعة من التعريفات هنا للأسرة أهمها:

أ- عرف **بيرجس ولوك** الأسرة بأنها: "جماعة من الأشخاص يرتبطون برابط الزواج والدم يؤلفون عائلة متميزة، يتفاعلون ويتصلون بعضهم ببعض خلال الأدوار الاجتماعية المقررة لهم، وتشمل أدوار الزوج والزوجة، الأب والأم، الابن والابنة، والأخ والأخت، وينشئون ثقافة عامة مشتركة " [1].

ب- يعرف **بزانس** الأسرة بأنها: "النظام الأساسي العالمي الذي عليه يتوقف بناء كل المجتمع ففي كل مكان تنتج الأسرة الخامات الجديدة للمجتمع في صورة مواليد وتنشئهم

اجتماعياً بما يكفي لمقدرتهم على أداء أدوار الكبار في الأنظمة الاجتماعية الأخرى وتكون أسر جديدة بدورهم"[2].

جـ- يعرف **الأخصائيون الاجتماعيون** الأسرة بأنها: "تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطريقة منظمة اجتماعياً، وقد يزداد عدد أفراد الأسرة بالإنجاب، أو التبني أو بانتماء بعض الأقارب للأسرة، كما يمكن إطلاق لفظ الأسرة على الجزء المتبقي منها نتيجة الوفاة، أو انفصال أحد الوحدات البنائية المكونة لها"[1].

د- يعرف **أوجبرن ونيمكوف** الأسرة بأنها:"عبارة عن منظمة دائمة نسبياً من زوج وزوجة مع أطفال أو بدونهم أو تتكون من رجل وامرأة على انفراد مع ضرورة وجود أطفال في هذه الدالة" [3].

3- الظاهرة Pfenomene, Phenomenon تعرف الظاهرة بأنها:

ما يظهر أو يتجلى للعيان، ما يتعين وجوده بظهوره مظهرية الوجود ولذا فالظاهرة غير الواقعة بالمعنى الاجتماعي المختص أنها الحادثة، الشاهدة التي ترصد وتدون، وحيث تتكرر وتستقر تعامل كشيء قادر دائم كواقعة اجتماعية تاريخية.

العراقة، تدرس النماذج الأجنبية والنماذج المظهرية بوصفها وجهين لحركة التطور الحيوي[4].

4- التنمية الاجتماعية:

عبارة عن عمليات تغيير اجتماعي يلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه وانها تسعى إلى اقامة بناء اجتماعي جديد يمكن عن طريقه اتباع الحاجات الاجتماعية للأفراد [4].

أ. التعريف الاجرائي للعنف:

العنف تجربة نفسية اجتماعية، قوامها إيداء الاخرين، ولكنها لا تنفصل عن تغيرات المجتمع وثقافته من خلال محيطه الداخلي والخارجي .

ب. التعريف الاجرائي للأسرة :

جماعة من الاشخاص يرتبطون برابطة الدم، يؤلفون عائلة ويتفاعلون من خلال أدوار اجتماعية، وينشئون ثقافة مشتركة بينهم .

ج. التعريف الاجرائي للقاهرة :

ما يظهر أو يتجلى للعيان وهي كل ما يشاهد أو ترصد أو تدون، من مظاهر اجتماعية اساسية أو فرعية .

سادساً: المنهج المستخدم في البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن التساؤلات فالدراسة تستهدف فحص بعض الأدبيات المطروحة من علم الاجتماع العائلي وتحديداً تلك التي تتصل بالأسرة وظروفها الاجتماعية والاقتصادية وغيرها المرتبطة بالمجتمع يقصد تجميع بعض الأسباب المؤدية لظاهرة العنف بين الأبناء داخل الأسرة.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: بعنوان الفروق بين الجنسين في العدوان اللفظي للأطفال:

قامت اليساماكاب وتوماس سنة 1988 بدراستين بعنوان الفروق بين الجنسين في العدوان اللفظي لدى الأطفال، ففي الدراسة الأولى: قام الباحثان بتسجيل المحادثات الحرة لمجموعة من الأطفال مكونة من 21 ذكراً و 11 أنثى حيث اختيروا من مدرسة الحضانة.

وقد تبين لهم أيضاً أن العدوان اللفظي يزيد زيادة العمر وأخذ التعبير العدائي أكثر من التعبير الوسيلي، وتبين أيضاً من تحليل المحادثات للأطفال أن الذكور أكثر عدواناً من الإناث في شتى المراحل العمرية، وعدم وجود فروق بين الجنسين في العدوان اللفظي [5].

التعليق: أن العدوان اللفظي منتشر بشكل واسع بين الأبناء أنفسهم أو مع غيرهم هو عدوان لفظي وجسدي معاً.

وبالرغم من أن الكثير من الدراسات انتهت إلى أن الذكور أكثر عدواناً من الإناث إلا أن هذه الدراسة أوجدت عدم وجود فروق بين الجنسين في العدوان اللفظي ولكن هذا لا يعني وجود فروق بينهم في العدوان الجسدي أو هما معاً.

إن هذه الدراسة أغفلت العنف الجسدي بين الجنسين وهو الأهم والأحق بالدراسة والبحث.

الدراسة الثانية- بعنوان الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل:

ولقد نال هذا الجزء من الدراسة جائزة الدولة التشجيعية في علم النفس لعام 1963م، والجزء الذي يعنينا على وجه الخصوص هو الاتجاه الوالدية في مواقف العدوان.

وقام بهذه الدراسة كل من محمد عماد الدين إسماعيل، ونجيب إسكندر إبراهيم، ورشدي فأم منصور، وقد بنيت هذه الدراسة أساساً على استفتاء غير مقيد طبق على 965 حالة تمثل المجتمع المصري بطبقاته وأقاليمه المختلفة وكان الهدف العام للبحث منذ البداية هو عملية مسح عامة شاملة للمجتمع المصري بطبقاته المختلفة.

فرضيات الدراسة:

الفروض العامة للبحث:

- هناك علاقة بين اتجاهات الآباء وقيمهم في تنشئة الطفل وبين الفئة الثقافية التي ينتمون إليها (أي وضعهم الاقتصادي والاجتماعي).
- هناك علاقة بين اتجاهات الآباء وقيمهم في تنشئة الطفل وبين الإقليم الحضاري الذي ينتمون إليه (أي وضعهم الريفي – المدني).
- هناك علاقة بين اتجاهات الآباء وقيمهم في تنشئة الطفل وبين الجنس الذي ينتمون إليه (ذكوراً – إناثاً).

ولقد كان الهدف العام من الدراسة هو الحصول على فهم العوامل الثقافية التي تحدد الاتجاهات والقيم الوالدية في علاقتها بتنشئة الطفل.

وكانت أهم نتائج هذه الدراسة كالآتي:

هناك فروقاً طبقية في الاتجاهات الوالدية نحو أمور التربية، فقد ظهر أن الطبقة الوسطى تتميز عن الطبقة الدنيا بشكل واضح في استخدام أسلوب العقاب الديني أو التهديد، في حين أن الطبقة الوسطى تتميز باستخدام أسلوب النصح والإرشاد اللفظي الذي يستهدف إثارة الشعور بالذنب عند الطفل، ولإثارة قلقه على مركزه سواء في الأسرة (علاقته بأبويه حنونه) أو المجتمع الخارجي (مستقبله).

إن عدوان الإخوة يشكل خطر على تماسك أفراد الأسرة فأنه يمثل أيضاً تهديداً مباشراً أو قريباً لراحة الأبوية ومثيراً قوياً لقلقهما.

وإن الاتجاهات الوالدية إزاء موقف الوالدين، قلما تتصف بالتساهل، إن العدوان في داخل الأسرة أشد منه في خارجها [5].

الدراسة الثالثة- بعنوان أساليب المعاملة الوالدية:

قام بها صلاح الدين أبو ناهية ورشاد عبد العزيز موسى 1987م، وكان الهدف من الدراسة هو محاولة الكشف عن طبيعة الفروق بين الجنسين من طلاب وطالبات كلية التربية بالجامعة الإسلامية بقطاع غزة في إدراكهم لأساليب المعاملة الوالدية.

لذا تفترض الدراسة الحالية إلى وجود اختلاف في إدراك السلوك الوالدي باختلاف النوع.

تكونت عينة الدراسة الحالة من 120 طالباً و 110 طالبة من التخصصات الأدبية والعلمية بكلية التربية بالجامعة الإسلامية بقطاع غزة وتراوحت أعمار الذكور من 20-23 سنة، بمتوسط حسابي مقداره 21.98، وأيضاً تراوحت أعمال الإناث من 20-24 سنة.

تبين أن الذكور يدركون أساليب المعاملة الوالدية المرتبطة بالرفض وتلقين القلق والضبط العدواني والتباعد وعدم الاتساق والإكراه، بينما تدرك البنات أساليب المعاملة الوالدية المرتبطة بالتقبل والاندماج الإيجابي والتساهل مع بعض التقاليد وربما رجع هذا الإدراك إلى طبعة الإطار الثقافي في الأسر الفلسطينية فهي تعتبر أسرة ذكرية فهي تعطي الذكر حرية أكبر في اتخاذ القرار والخروج إلى ميدان الحياة ومزاولة الأعمال في سن مبكرة والدور المسيطر في الأسرة في حين دور الأنثى محور في قيامها بدور الزوجة.

كما يرى الذكور أن آباءهم أكثر رفضاً لهم وتقييداً وإكراهاً، وتطفلاً، وضبطاً من خلال الشعور بالذنب، وضبطاً عدوانياً، عدم اتساق، وتلقيناً للقلق الدائم ويدركون أن أمهاتهم أكثر ضبطاً لهم وتلقيناً للقلق الدائم ويعاقب بأساليب مختلفة من العقاب الشديد، وأن أمه تذكره دائماً بأعماله السيئة ولا تشعر بالسعادة في كثير من الأحيان عندما يكون بعيداً عنها.

بينما ترى الأنثى أن الوالد يستطيع فهم مشكلاتها ويهتم بمحاسنها أكثر ما يهتم بأخطائها ويعاقب بعطف ومودة شديدة، وترى أن والدتها قادرة على فهم مشكلاتها وأنها تعطي كل اهتمامها لأبنائها وبناتها وأنها تتمسك ببعض القواعد والنظم التي تعتقد أنها تحكم السلوك والتصرف وأنها تريد أن تعرف كل ما تفعله خارج المنزل [5].

الدراسة الرابعة–بعنوان العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية وأثر ذلك على العدوان لدى الأطفال:

قام برايس سنة 1978 بدراسة بعنوان العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية وأثر ذلك على العدوان لدى الأطفال مرحلة ما قبل الابتدائية.

وقد تم تعريف العدوان إجرائياً بأنه يقصد به الاعتداء البدني، والتدمير، والاحتقار والتهديد والعصيان.

وتكونت عينة البحث من عشرين طفلاً (عشرة ذكور وعشرة إناث) من الذين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة وعشرين (عشرة ذكور وعشرة إناث) من الذين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية الاقتصادية المتوسطة.

وتم ملاحظة سلوك عينة البحث من خلال اثنين من الملاحقين المدربين تدريباً جيداً على ملاحظة السلوك، وباستخدام تكنيك تحليل التباين، تبين أنه لم يوجد أثر دال للطبقة الاجتماعية الاقتصادية على السلوك العدواني للأطفال، كما أتضح أن الذكور أكثر من الإناث في السلوك الذي يتسم بالعصيان والتدمير [(5)].

الإطار النظري:

تمهيد: سوف يعرض البحث عرضاً منهجياً للتراث الفكري حول موضوع الدراسة يتمثل في الأسباب الاجتماعية والاقتصادية لظاهرة العنف بين الأبناء داخل الأسرة من خلال جملة من المراجع والدراسات السابقة التي أمكن الحصول عليها ، التي يمكن الاستفادة منها كخلفية علمية في التعرف على الأسباب الحقيقية للعنف داخل الأسرة في المجتمع المحلي منها الذي تطرقه إلى الفروق الفردية بين الجنسين، وأخرى تطرقه إلى الاتجاهات الوالدية في مواقف العدوان وغيرها من الذي تطرقه إلى العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية وأثر ذلك على العدوان.

المشكلات الأسرية:

قد تكون مشكلات ناتجة عن عدم قدرة الأسرة تلبية وظائفها، وقد يكون السبب اقتصادياً، كما قد يكون عدم القدرة على الإنجاب، وقد تتمثل المشكلة في علاقة الزوجين، أو في علاقة الزوجين بالأبناء، وقد تمتد لتشمل أقارب آخرين، وتتمثل المشكلات الأساسية في

التسلط والطلاق وإهمال الأبناء والأطفال غير الشرعيين، وفي تفكك الأسرة ويتفرع عن هذه المشكلات فئوية كمشكلات المراهقين أو الأطفال أو النساء أو كبار السن.

تنعكس هذه المشكلات على عدم قدرة الأسرة على القيام بوظائفها، وينعكس هذا كله على أعضاء الأسرة [7].

العنف:

إن العنف سلوك إيذائي قوامه إنكار الآخر كقيمة مماثلة للأنا أو نحن كقيمة تستحق الحياة الاحترام، ومرتكزة استيعاد الآخر من حلبة التغلب إما يخفضه إلى تابع، وإما ينفيه خارج الساحة (إخراجه من اللعبة، وإما بتضمينه معنوياً أو جسدياً، إذن مغزى العنف الأساسي هو عدم الاعتراف بالآخر، ورفضه وتحويله إلى الشيء المناسب للحاجة العنيفة إذا جاز الكلام، وعدم الاعتراف لا يعني عدم المعرفة، بل يعني معرفة معينة، مقولة : هناك الفاعل العنفي يراقب القابل، بصورة ويتصوره بالطريقة المناسبة لرسم صورته الضحية والتحكم بصيرورته، إن معرفة الفاعل للقابل تتم في سياق اللعبة العنفية إما مباشرة الفرد في مواجهة الآخر كما هو، والآخرين كما هم.

كذلك فإن العنف سلوك متبادل يبدأه الفاعل ويواجهه القابل، ومواجهة القابل للحدث العنفي تستلزم مقاومته، فتعني استئناف العنف المبتدأ بعنف مختلف، وتعني انطلاق مسار العنف المقابل، كل فعل عنفي يستثير مضاداته العنفية، وهنا يغدو بالإمكان البحث في سوسيولوجيا العنف، أو وضع العنف في أفق البحث الاجتماع – التاريخي.

إن الاجتماع البشري التاريخي، وما رافقه أو سبقه من تصورات غيبية لمجتمع ملائكي فردوسي وشيطاني، ينتج العنف لأن قوم الاجتماع التناقض والتغالب حتى التوازن والتسالم الآني، لقد انشغل أسلافنا المثقفون من أسطوريين وفلاسفة أخلاقين وعلماء بالسؤال عن علة العنف، لماذا العنف وأوجدوا له المسوغات والمفاهيم التي تستحق الدراسة النقدية؛ إلا أن ما يعنينا هنا هو الغوص في العنف كإشكالية ينتجها المجتمع أو البحث في كيفية العنف .

وبعض النظر عما إذا كان الفعل العنفي خيراً أم شراً، لأن كل فعل هو خيراً أو شراً في آن، خير في آن أخر.

نظرية التعلم: ترى هذه النظرية أن العنف نتج عن التنشئة المتسلطة وبالذات سيطرة الروابط الاجتماعية الصارمة، بشكل عام السلوك العدواني وبشكل خاص السلوك العنفي كون مكتسب عن طريق التعلم مثل باقي السلوكيات حتى ولو وجدت احباطات لها.

هذا على ألا ننسى أن أفلام التلفزيون ومسلسلاته تشجع على ممارسة السلوك العنفي عند المشاهدين الشباب، والأطفال الذين يشاهدون أفلام كارتون وغيرها تعرض القصص البطولة والسلوكية العنفية فيتأثرون بها ويتعلمون أساليبها منها.

وهناك أفلام عنفية تعمل عند مشاهديها حالة تنفيسية عن النوازع والميول والعدوان أكثر من تشجعهم على أدائها وممارستها.

بات واضحاً من النظرية سالفة الذكر تحمل في طياتها مصادر قوتها وضعفها بذات الوقت، أمس أيضاً من الصعب القول أيهم أقوى وأيهم أفضل في تفسير السلوك العدواني، ولما كان الإنسان يعيش في مجتمعات مختلفة ومتباينة في تاريخها وثقافتها وطموحها ومحيطها وبيئتها فإن من العسير جداً أن يتقولب السلوك العدواني بقالب واحد لأن مؤثراته تختلف من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية لأخرى داخل المجتمع الواحد، هذا فضلاً عن أن قدرات الإنسان البيولوجية متباينة فيما بينها، لذا نجد أن مستويات العنف تختلف عند الأفراد المتصفين بالسلوك العدواني، العنفي، تحت هذه الظروف فإن النظرية سالفة الذكر شرحت وأوضحت جانباً واحداً من واقع السلوك العدواني الأمر الذي يتطلب رؤية أكثر شمولية تأخذ بالرؤية الاجتماعية العامة وما لها من تأثير على سلوك الإنسان الخاص [3].

نظرية الذعر: ربطت النظرية السلوك العدواني بطبعة الإنسان البيولوجية إنما هذه النظرية تفسر وتربط السلوك العدواني للإنسان بمحيطه الاجتماعي الذي يسبب له الخيبة والفشل، أي ينتج العدوان العنفي عندما يتعوق تحقق مراده أو عندما تخيب آماله وحبط، تحت هذا الضغط المحيطي يندفع الإنسان إلى العدوان العنفي.

النظرية المعرفية: لقد اتسعت أفكار بياجيه عن النمو العقلي المعرفي حتى تقدم تفسيراً شاملاً لتطور دور الجنس، والمساهمة الأساسية في هذه النظرية هي أن التنميط الاجتماعي هو الذي يحدد الدور الذكري أو الدور الأنثوي للأفراد كل ثقافة من الثقافات الإنسانية وتزود

هذه التنميطات الاجتماعية بمجموعة من الرموز ويبدأ التنميط الجنسي عندما يلقب الطفل بذكر أو أنثى، ويرتبط هذا اللقب بمجموعة من الرموز[6].

ويرتبط هذا الرمز بمجموعة من التفاعلات الموجبة داخل المنزل، وتخدم هوية النوع أو مفهوم الذات المرتبطة بالنوع فيما بعد كمحدد للاتجاهات الاجتماعية والقيم، وتنشأ القيم المرتبطة بالذكورة أو الأنوثة من الحاجات إلى استيعاب الأشياء التي تكون متسقة مع هوية الجنس [8].

من خلال ما استعرض من مداخل نظرية ونظريات علمية ينطلق البحث الراهن .

العدوان اللفظي:

توضح بعض الآيات القرآنية العدوان اللفظي مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنعام الآية 108) .

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة المائدة الآية 108) .

كما بينت بعض الآيات التي جاءت في القران الكريم صوراً من العدوان الظاهر بين الأنبياء والكفار والشركين ، وبين الشيطان والمؤمنين ، وبين المؤمنين والكفار ، وبين الفرد وذويه مثل قوله جلا وعلا في الآيات التالية:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (سورة الفرقان الآية 31) .

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (سورة طه الآية 123) .

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ (سورة طه الآية 117) .

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (سورة الإسراء الآية 53) .

العدوان نحو الآخرين:

كما تنوعت الآيات القرآنية في إظهار صور مختلفة من العدوان نحو الآخرين ، مثل قوله سبحانه وتعالى في الآيات التالية :

﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ (سورة القصص الآية 15) .

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ﴾ (سورة القصص الآية 19) .

﴿ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ (سورة المجادلة الآية 8) .

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية 190) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المجادلة الآية 9) .

مقدمة في محيط الأسرة:

تنوعت وتباينت عناوين الكتب عن الأسرة في علم الاجتماع إذ بدأت بوصف حياة الأسرة وتحدد أركانها قسمتها بالمؤسسة(instution) باعتبارها تنظيماً غير رسمي (عرفي) لها سلطة على أفرادها تصل درجتها إلى التحكم بسلوكهم اليومي، وروابطهم الاجتماعية، ومصيرهم الاقتصادي، ثم حددتها على أنها خلية اجتماعية تقوم بالإنتاج البشري (الإنجاب) بعدها، وبصفتها على أنها واحدة اجتماعية خاصة بالمجتمعات الحديثة والصناعية بسبب صغر حجمها وتضاؤل سيطرتها على أفرادها، بعبارة أخرى: دأبت الكتابات الاجتماعية الأولى عن الأسرة على توضيح حجمها ونفوذها، وسلطتها في المجتمعات البدوية والريفية والتقليدية، لكن مع تطور المجتمع الإنساني صغر حجمها، فوصفتها الكتابات بالخلية الاجتماعية الصغيرة في حجمها ووظيفتها، وقد عنت بعلم اجتماع الأسرة من حيث اعتبار الأسرة مؤسسة وخلية في ذات الوقت، واهتمت بعلاقتها بالنظام القرابي والزواج وأنواعه القديمة والحديثة الطلاق والتنشئة الأسرية (المربي الأسري) وكيف تتولد الذات الفردية وتتفاعل مع الأنا الاجتماعية.

لا غر ومن أن الأسرة تقدم الحنان والدفء العاطفي ضمن علائقها الداخلية لتنمي روح الألفة والمودة بين أفرادها، إلا أن تقدم النصح وتفاقم المعايير المادية في الحياة العصرية واهتمام الفرد بنزعته الفردية (الأنانية) أدت إلى ظهور التفرد والانعزال.

هذه الوضعية الفارغة اجتماعياً والمكتنزة مادياً أبهتت روح المحبة بين أفراد الأسرة بعدما كانت متوهجة، وقزمت نزعة التضحية عندهم.

لم تكتف هذه الوضعية بذلك بل ساعدت على ممارسة سلوكية عنيفة وتفاعلات قيمة وممارسات قهرية اسميتها أدبيات علم الاجتماع بـ (العنف المنزلي) هذه الحالة لم تكن سائدة في المجتمع من قبل بل كانت موجودة بشكل متفرق ينظر إليها على أنها حالات مستهجنة ومدانة من قبل أغلب أفراد المجتمع.

وإزاء هذه الحالات المريضة ذهب علم الاجتماع إلى دراستها بعد ما كان يدرس التضامن الأسري والعلائق الودية والحميمة بين أفراد الأسرة، ولما كان علم الاجتماع حقلاً علمياً مستجيباً لظواهر ومشكلات اجتماعية تناولها بالدراسة التحليل ولم يكتف بدراسة الطلاق كمشكلة اجتماعية تنهي الروابط الأسري، بل درس السلوك العنفي الذي يمارسه أحد أفراد الأسرة على أحد أعضائها، ويسبب إشكالات وأمراض تؤدي إلى تفكك الأسرة وتصديع علائقها [3].

خصائص الأسرة الإنسانية:

ترجع أهم مقومات الأسرة وخصائصها بصفة عامة إلى الاعتبارات الآتية:

– الأسرة أول خلية لتكون المجتمع، وأكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشاراً وهي أساس الاستقرار في الحياة.

– تقوم على أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع. وهي من عمل المجتمع وليست عملاً فردياً، وهي في نشأتها وتطورها وأوضاعها قائمة على مصطلحات المجتمع، فمثلاً الزواج ومحور القرابة في الأسرة، والعلاقة الزوجية،... إلخ.

– تعتبر الأسرة الإطار العام الذي يحد تصرفات أفرادها، فهي التي تشكل حياتهم، وتضفي عليهم خصائصها وطبيعتها، مثال ذلك الأسرة الدينية تشكل طبع الأفراد بالطابع الديني، وإلى جانب ذلك فهي عربة الوعي الاجتماعي والتراث القومي والحضاري وهي مصدر العادات والعرف والتقاليد وقواعد السلوك، ودعامة الدين عليها تقوم عملية التنشئة الاجتماعية.

– الأسرة تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية، وتتأثر بها فإذا كانت الأسرة منحلة وفاسدة في مجتمع من المجتمعات تؤثر في وضعه السياسي، أو الاقتصادي ويؤثر ذلك في مستوى المعيشة للأسرة، وفي تماسكها وخير دليل على ذلك أننا نشاهد في الدول المستقرة سياسياً فنجد عكس ذلك.

– تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية، فقد كانت قائمة في القديم بكل مستلزمات الحياة واحتياجاتها وكان إنتاجها رهن استهلاكها، وعندما اتسع نطاق الأسرة وأصبح الإنتاج العائلي من خصائص المرأة وكان الرجل يعمل تابعاً لهيئات أو مؤسسات أخرى، والأسرة ما زالت تؤدي وظائفها الاقتصادية بالرغم من التطورات التي طرأت على نمها ففي الأسرة الحديثة يتعين كل فرد عمل اقتصادي، هذا ونظر معظم الأفراد للأسرة الحديثة على أنها شركة اقتصادية بين عميلين هما الزوج والزوجة فنجد أن العامل الاقتصادي والتفكير التقديري يسيطر على عقلية الراغبين في الزواج قبل كل شيء.

– الأسرة هي الوسيط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان، ودوافعه الطبيعية والاجتماعية وذلك مثل حب الحياة وبقاء النوع وتحقيق الدوافع الغريزية والجنسية والعواطف والانفعالات الاجتماعية، وهذه كلها عبارة عن قوالب ومصطلحات يحددها المجتمع للأفراد، ويستهدف من ورائها الحرص على الوجود الاجتماعي وتحقيق الغاية من الاجتماع الإنساني[3] .

الأسرة والتربية:

لا تقوم الأسرة فقط ببعض الحماية للطفل في فترة عدم النضج البيولوجي بل أيضاً هي مؤسسة تقوم للطفل تطبيعاً اجتماعياً أولياً وتربية أولية. والتطبع الاجتماعي ببساطة هو العملية التي يتكيف فيها الفرد مع بيئته الاجتماعية وعلى الطفل أن يتعلم كيف يعيش في داخل النظام الفرع المتميز في المجتمع وفي سن مبكرة نسبياً يبدأ الطفل بوضع نفسه موضع الآخرين، أي أنه يأخذ أدوار الآخرين لكن ذلك يتم بطريقة فيها تقلد كبير وعدم فهم، على سبيل المثال قد يقلد صبي أباه بقراءة الصحيفة حتى لو حمل الصحيفة بطريقة مقلوبة.

ويجب أن تساعد التربية التي تقدمها الأسرة قبل تعلقه بأي مؤسسة تعليمية على تحقيق حاجاته والتخفيف من التوترات الداخلة.

ما حقيقة العنف؟

العنف هو الإيذاء باليد أو باللسان بالفعل أو بالكلمة في العقل التصادمي مع الآخر، أنه بالدرجة الأولى حالة تدرس بذاتها ولكنها غير مستقلة عن موجباتها ومبرراتها ومساراتها التاريخية، وهو بالدرجة الثانية حالة مركبة من حيث ظهورها وأدائها وترابطها، حالة ذاتية لها موضوعها والأنا في مواجهة الآخر، حالة وضعية لا تقبل الانخفاض ولا التبسيط السطحي، وهو بالدرجة الثالثة يتسم بسمة الأداء الفردي أو الأداء الجماعي الأداء المؤسس على ردة فعل أو على مبادهة المؤسس على انسياق أو على اختيار.

وعما إذا كان طبيعياً أم اصطناعياً، مفيداً أم مضراً يهمنا التوضيح أن العنف فعل إرادة تستقوي به الذات لقهر الآخر، ويلتجئ إليها الآخر لدحر الفاعل (في هذه الحالة نجد فاعلين العنف المتبادل) فيولد نوعاً من التوازن العنفي (الاحتلال مقاومته مثلاً).

إذن العنف واقعة اجتماعية تاريخية، ينتجها الفاعل الفردي المتسلط (Lego crate) مثلما ينتجها الفاعل الجمعي المتسلط الجمعي (Lecommunau crate) في سياق التصارع على الامتلاك الأنوى أو الجمعي للآخرين، وفي غياب أي نظام علائقي من النوع الديمقراطي أو المساواتي العضوي [9].

المدرسة البيولوجية:

البشرية التي ترى الإنسان كحيوان لا غير أمثال الفيلسوف (هوبر) الذي يؤكد على تأمل السلوك العنف في جسم الإنسان لحل الصراع داخله، أي لتنفيس عن النزعات الداخلية والباطنية، وفي ضوء هذه الرؤية فإن الإنسان يعني أنه عدواني بطبيعته يعيش تحت ظلال أو الظروف المدينة لابساً القناع الاجتماعي ليخدع الآخرين بمهره، ويغطي عن طبيعته الحيوانية، لا جناح من الإشارة في هذا المقام إلى أن معظم علماء النفس يدعون هذا التفسير وبخاصة التوضيح الذي يقول:

ولد الإنسان حيواناً بايلوجياً باحثاً عن حاجاته الخاصة به ومتمتعاً بقدرة سلوكية عنيفة وخلال تنشئته فصبح بعدئذ غير عنيف تجاه أخيه الإنسان وتجنب السلوك العنفي .[10]

اجتماعيات العنف:

فالعنف من موضوعات علم الاجتماع، بوصفه ظاهرة اجتماعية مميزة، من معانيه الإيذاء باليد أو باللسان، بالفعل أو بالكلام، في حقل التصادم مع الآخر.

–العنف حالة تدرس بذاتها، لكن من خلال ارتباطه بموجباته ومبرراته وأهدافه ومساراته التاريخية العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية،... إلخ.

–العنف حالة اجتماعية مركبة من حيث أدائها أو ترابطها، حالة ذاتية لها موضوعها (الأنا / الآخر / نحن / الآخرون) لكنها مع ذلك حالة موضوعة، وضعة لا تقبل الانخفاض النفسان على استجابات عنيفة.

–العنف تجربة نفسية اجتماعية قوامها إيذاء الآخر، لكنها لا تنفصل عن تغيرات المجتمع وثقافته السياسية ومحيطاتها الإقليمية والدولية [6].

المعنى الأساس للعنف الاجتماعي، هو عدم الاعتراف بالآخر، رفضه، والرغبة في تحويله شيئاً مناسباً للحاجة العنفية (الغلبة) .

الجانب الاجتماعي:

ويتمثل في الجوانب الآتية:

الروابط الاجتماعية :

تعمل الروابط الاجتماعية المتعددة والمتنوعة على ربط الفرد أو الأفراد والجماعات بعضهم ببعض من ثلاث زوايا وهي:

– **القيم:** التي تربط الأفراد الذين يحملونها ويلزمون بها في منازلهم ومدارسهم وأماكن عبادتهم وشللهم العمرية كاشتراكهم في مستوى واحد، وعندما لا يتم ذلك فإن السلوك العدواني يتحول من الخارج إلى الداخل أي فيما بينهم، أو يأخذ الصراع الداخلي أو الحرب الأهلية أو الاهتياج الحضري أو الشغب التخريبي ضد القانون في المدن.

– **الرباط الاجتماعي الثاني:** هو (التبادل الاقتصادي): الذي يربط الأفراد بعضهم ببعض ليس خارج التزامهم بنفس القيم إنما خارج حدود الضرورات أو استخدام معدات بعضهم البعض، الذي بدوره يعزز ترابطهم ويقلل من احتمال صراعهم ويخفف من سلوكهم العدواني تجاه الآخر.

- **قابلية السلطة:** في التحدث عن مصالح الجماعة واحدة، لكي تبقى الجماعة مترابطة ومتماسكة بنهجها ومسيرتها ضمن النظام الاجتماعي وليس خارجه أو الخروج عنه، كل ذلك يقلل من صراعهم الداخلي ونزوعهم نحو السلوك العدائي.

في الواقع تقدم الروابط الاجتماعية بما يسمى بكبسولة أو عبوة تحتوي على الصراع لتمنع من الانزلاق في الخندق العدائي، هذه العبوة تجعلهم يشتركون بمحبة واحدة تجاه كل منهم للآخر بذات الوقت تبعدهم عن الأسلوب العدائي العنفي [3].

الفرق بين الجنسين:

ربما تبادر إلى الذهن سؤال يتعلق بماهية الأسباب التي تسبب في إحداث الفروق بين الجنسين ذكراً أو أنثى، فقد تبن أن هذه الفروق تعرف المقام الأول إلى عاملين: أولهما العامل

البيولوجي، وثانيهما: العامل النفسي.

أولاً: العامل البيولوجي:

تحدث الفروق بين الذكور والإناث بسبب طبيعة الهرمونات التي تفرز في الدم كل منهما؛ فقد تبين أن (هرمون التستوسترون) هو الهرمون المسؤول عن الذكورة، في حين أن (هرمون الاستروجين) هو الهرمون المسؤول عن الأنوثة، ويصاحب إفراز كل هرمون في الدم في كل من الذكور والإناث بعض المظاهر الجنسية الثانوية، غير أنه لا يعرف كائن مطلق الذكورة أو كامل الأنوثة، إذا أن كل كائن يحوي النوعين من الهرمونات، وإن كانت نسبة أحدهما إلى الأخرى تختلف، وتتراوح تدريجياً بين الذكورة المطلقة والأنوثة الكاملة، وهما نهايتان نظريتان فحسب، ولذا فإن بعض الرجال أشذ ذكورة من غيرهم، أو أضعفها وبعض النساء أكثر أنوثة من غيرهم أو أقلها، وبينهم تسلسل من الدرجات الوسيطة التي لا نهاية لها.

ويتحدد نوع الجنسين ذكراً كان أم أنثى عند تلقيح البويضة بعدد الكروموسومات التي تضمنها ولأمكن تغيرها بأية طريقة [11].

ثانياً: العامل النفسي:

يوجد مفهومان من المفاهيم النفسية اللذان يكونان بمثابة القاعدة الأساسية لدراسة تطور دور الجنس: أولهما: التنميط الجنسي، وثانيهما التوحد مع دور الجنس.

1- التنميط الجنسي:

ويقصد بالتنميط الجنسي اكتساب السلوك سواء المرتبط بالأدوار الجنسية الذكرية أو بالأدوار الجنسية الأنثوية عند مراحل عمرية مختلفة أثناء فترة النمو، والتنميط الجنسي ما هو إلا

عملية يكتسب الأفراد من خلالها القيم ويتبنون الأنماط الثقافية للسلوك المنمط جنسياً كما يقصد بالتنميط الجنسي مجموعة من المعتقدات والاتجاهات وأوجه النشاط التي تحكم الحضارة التي ينشأ فيها الطفل بأنها مناسبة للجنس الذي ينتمي إليه.

معظم الوالدين يثيبون السلوك الذي يرونه مناسباً لجنس طفلهم ويعاقبون الاستجابات التي يرونها غير مناسبة، كما توجد عدة دوافع تؤدي إلى انصاع الطفل لأنواع السلوك المنمطة جنسياً وهي:

- الرغبة في المدح، والمودة والتقبل من جانب الأبوين والأقران ورضاهم من أنواع السلوك المنمطة جنسيا.
- الخوف من العقاب أو النبذ بسبب السلوك غير المناسب.
- التوحد مع الأب من نفس الجنس، أو مع بديل الأب، أو مع ذات مثالية متخيلة.

وبالإضافة إلى ذلك: يظهر معظم الأفراد السلوك الجنسي المناسب الذي وجه نحو نظرائهم من الجنس الآخر، وهذا إنما يعكس مظهراً من مظاهر التنميط الجنسي، ويتم تعلم الدور الجنسي منذ الطفولة، حيث يتسم الذكور بالسيطرة والعدوان والاستقلال والتنافس والنشاط، في حين يتسم الإناث بالسلبية والخضوع والاعتماد وعدم التنافس والطاعة [12].

الفروق في معاملة الوالدين:

إن عدوان الأطفال من الأمور العامة التي يجب أن يتعامل معها الوالدان، وأن عملية تطبع الأطفال اجتماعيا تتضمن إحباطاً وعدم راحة وقيوداً تعرض على الابن وتحد من حرياته، وإن عدوان الابن استجابة لهذا الإحباط للقيود يجب أن مر هو الآخر بعملية التطبيع

والتحوير، وهذه العملية تختلف من عائلة إلى أخرى كما تختلف ولا شك من مجتمع للآخر، وتمت دراسة الأمهات من حيث تقبل العدوان ومن حيث عقاب العدوان الموجه إلى الوالدين.

وقد وجد أن نسبة عالية من الأبناء الأشد عدواناً هم ممن تعاقب أمهاتهم الأبناء عقاباً صارماً لكنهن يسمحن في نفس الوقت لأبنائهم بالعدوان على الغير وقد يباركه أحياناً وإن أقل نسبة من الأبناء العدوانيين ممن لا تسمح أمهاتهم بالعدوان ولكن لا يعاقبن عليه بشدة.

وكذلك وجد بأن غياب الوالد عن البيت يزيد من عدوان الأولاد بغير ذلك بقاءهم مع الأم وعدم وجود رجل يعتصمون بشخصيته يدفعهم إلى السلوك العدواني في محاولة للتشبه بالرجل (6).

الاتجاهات الوالدة في مواقف العدوان:

نقصد بالعدوان السلوك الذي يرمي بإلحاق الضرر بالآخرين، ولا شك أن معظم أفراد الإنسان يبدون من السلوك ما ينطبق عليه هذا التعريف، أي إنهم يظهرون عدوانهم نحو الآخرين في بعض الأوقات على أن بعض الناس قد يظهرون عدوانه هذا بشكل جريء والبعض الأخر ظهره بطريقة ملتوية غير مباشرة، كما أن البعض قد صاحب عدوانه غضب وثورة وشعور بعدم الارتياح، والبعض الآخر يعتدي بدون انفعال أو اضطراب، ببرود ظاهر وظهر هذا التغاير في السلوك العدوان عند الكبير إلى الطرق المتعددة التي كان يعامل بها أثناء عملية التطبيع الاجتماعي التي مر بها وقت أن كان طفلاً صغيراً، وهناك مظهران للعدوان:

المظهر الأول: هو الغضب والانفعال الشديد، ويظهر هذا في مرحلة مبكرة في الطفولة، كما يحدث عندما نحاول تقييد حركة الطفل أو يحدث ما يسبب له عدم الارتياح.

المظهر الثاني: وهو محاولة إلحاق الضرر بالآخرين.

وعلى أي حال فالاستجابات العدوانية التي لا بد أن يمر بها في هذه الثقافة، ولا يمكن تفاديها بين الإخوة أو الأثرياء، ففي كل منزل مهما كانت الحكمة تسود معاملة الإخوة والأخوات لا يمكن للأبوين أن يمنع التنافس أو النزاع الذي قد يقوم بين الصغار من أطفالهما.

أما المواقف المثيرة لهذا التنافس فهي عديدة فقد يتنافس الإخوة مثلاً: على اجتذاب حب الوالدين أو اهتمامهما، عليه غاضباً منتقماً، كذلك قد يتنافس الصغار من الأطفال الكبار منهم على الحصول على الامتيازات التي يتمتع بها هؤلاء الآخرون بحكم سنهم فقد يتعجل الصغار من الأطفال للحصول على امتيازات طالما جاهد الكبار منهم وصبروا حتى حصلوا عليها، ولا شك في أن هذا يغضب الكبار ويثير نقمتهم على الصغار، وقد يحدث العكس فيغيظ الكبار من الأطفال الصغار ويعيروهم بقصورهم وضعفهم بالنسبة لهم، وأحياناً يرفض الكبير الصغير لا يتقبله لمجرد أنه قد احتل مكانته عند الأبوين أو شاركه اللذة التي يتمتع بها باعتبار لأنه الابن الوحيد، وقد يثير غضب الكبار من الأطفال كذلك بشكل لا شعوري أن يروا الصغار من إخوانهم أو أخوتهم يتمتعون بامتيازات أجبروهم على التخلي عنها بحكم عوزهم، فعالين في ممتلكاتهم وفي لعبهم الثمينة فساداً، وكثيراً ما يدفع هذا الكبار إلى الانتقام بطريقة أخرى من الطرق العدوانية الصريحة أم الملتوية، هذه المواقف الإحباطية لا يواجهها في المنزل فقط، بل يواجهها أيضاً في الخارج، فكثيراً ما يجد الطفل نفسه في الخارج عاجزاً عن التصرف بنجاح تجاه المشكلات التي قد تعرض له باستمرار وقد يسبب له هذا الشعور الخيبة والإحباط، فالطفل لا يستطيع أن يرسم خطة للمستقبل كما يفعل الكبير، كما أنه لا يستطيع أن ينتظر أو يصبر كما ينتظر أو يصبر الكبير، لذلك فأنه كثيراً ما يواجه الشعور بالخيبة والإحباط هذا معتدياً، وكثيراً أيضاً ما يعتدي عليه من الأطفال الآخرين للسبب نفسه، كذلك يثير الشعور بالإحباط عند الطفل الالتزامات العديدة التي يفرضها عليه الوالدان نتيجة النمو، أو بمناسبة شعورهما بأنه قد أصبح يجتاز مرحلة جديدة كما يحدث مثلاً عندما يبدأ الطفل يمشي ويتكلم فإن مثل هذه الالتزامات تضمن بالطبع تنال الطفل عن امتيازات طالما تمتع بها وهذا ما يثير شعور الغضب، فإلام الطفل بعدم الحركة أو بأن يلبس ملابسه بنفسه أو بأن يربط بنفسه رباط حذائه، كل ذلك قد يثير غضب الطفل الذي تعود أن يقوم أبواه بأدائه كل هذه الأعمال نيابة عنه، تم تخليا عنه مرة واحدة، ولا يقبل تمرد الطفل عادة في مثل هذه الظروف، ومعنى ذلك زيادة شعور الطفل بالإحباط، وزيادة احتمال دخوله في مواقف عدوانية مع إخوته أو أخواته أو مع الخادمة أو غير ذلك، وعلى

أساس نوع المعاملة التي يعامل بها الطفل في مثل هذه المواقف يتوقف نمو شخصيته وتكيفه الاجتماعي مستقبلاً [12].

غضب الآباء ينعكس سلباً على الأبناء:

(أدى تعرض الإباء للمشكلات الخارجية والضغوط النفسية نتيجة لإيقاع الحياة السريع الصاخب إلى افتقار الأسرة للهدوء والسكينة والاتزان الانفعالي حتى إن الزوجة التي تشارك زوجها وتقاسمه أعباء العمل خارج المنزل ثم الأعباء التي تنتظرها أيضاً لدى عودتها إلى المنزل... كل هذا جعلها في شبه ثورة انفعالية نتيجة للشحن النفسي والمعنوي السلبي الذي تتعرض له هذه الأوضاع الأسرية التي فرضتها تلك الظروف البيئة الاقتصادية والاجتماعية جعلت السمة البارزة للوالدين هي العصبية المفرطة والغضب الشديد سواء في تعاملات كل منهما مع الأخر أو في تعاملاتهم مع أبنائهما هذا بالإضافة إلى إن بعض الأباء لديهم الاستعداد النفسي للعصبية المرضية التي تجعلهم يثورون لأتفه الأسباب مما يؤدي إلى شجار دائم داخل المنزل.

كذلك فإن عدم التوافق بين الزوجين سواء العاطفي أو الوجداني أو الفكري يدعم مبدأ العصبية السائد في علاقتهما أصلاً فتنعدم بالتالي فرص الالتواء على قرار معين فيعم التوتر أجواء الوسط الأسري، كل هذا ينتقل بالتالي إلى الأبناء لأنهم في حقيقة الأمر يقتدون بالأبوين، ومن ثم ينقلون عنهم الغضب والعصبية ولتوتر وسرعة الاستشارة، وعلى ذلك لا بد إن نشير إلى أنه يتحتم على الأباء نسيان مشاكلهم التي يوجهونها خارج المنزل حتى ينال الأطفال القسط الوافر والضروري من الهدوء والسكينة والاتزان، وعلى الآباء إن يدركوا إن الطفل الذي يعاني من القسوة والاضطهاد وفقدان الأمن والطمأنينة والحرمان من الدفء العاطفي بفشل بتكييف السوء دراسياً واجتماعياً ونفسياً سواء داخل المنزل أو خارجه، فقد يفشل في مسايرة أقرانه فيتأخر عنهم في التحصيل وقد يتحول من طفل وديع مسالم إلى أخر يدبر المكائد لإخوانه وأقرانه بل وللمعلم ذاته، لأنه يرى فيه صورة مطابقة من أبيه صاحب السلطة والقسوة والنفوذ، فنراه يكيل الافتراءات ويختلق الأكاذيب حول شخصيته وسلوكه بدافع الانتقام والتشفي.

الأم قد تقف موقف القاضي من مشاجرات الأبناء:

بعض الأمهات غالباً ما يحاولون إن يقفن من مشاجرات أبنائهن موقف القضاة فقد تسأل إحدى الأمهات أبنها من البادئ بالشجار؟ ومن فعل هذا؟ ومن منكم المذنب الحقيقي؟ وتستبين كل ابن في الإجابة هذا يتهم وذاك يدافع والواقع إن قيام الأم بدور القاضي هو أحد المواطن الخطأ في العلاج هذه الظاهرة لأن الابن سيدرك بفطرته إن كل مشاجرة ما هي إلا فرصة سانحة ينبغي استمرارها كي يتبين أنه الفائز وإن أمه أو أباه يستحسن تصرفاته يستهجن مسلك أخيه فالمحكمة تنتهي دائماً باتهام أحد الأبناء وتبرئه للأخر، وهكذا ينقلب المنزل إلى قاعة محكمة ما بين دفاع واتهام، وبذلك يصبح الشجار هدف أكبر واستهواء أكبر من قبل الابن وليس مجرد شجار عادي [13].

الأسرة ومشاجرات الأبناء:

الأبن الذي يميل إلى الشجار هو الذي نشأ في بيئة لا يجد فيها العطف والحب ولم يشعر فيها بالأمان والاطمئنان، وبالتالي لم يعرف معنى التضحية والسمو الأخلاقي مما جعله يميل إلى اتخاذ مواقف عدوانية كما يميل إلى استغلال الآخرين وإلى إلحاق الضرر بهم.

ويكثف الأبناء الميل للشجار بينما يشعر أنه غير مرغوب فيه أو عندما يسود الحياة المنزلية تشاجر دائم لا ينقطع بين الزوج والزوجة على مرأى ومسمع منهم.

ولموقف الوالدين الأهمية الأولى في هذا الشأن فعندما يقول الأب لابنه (اعتمد على نفسك) أفضل من إن يقول له (لا تكن عنيفاً) ذلك لأن العبارة الأولى تدفع الابن إلى حماية نفسه، هذا إذا سلمنا بأن الأبناء في حاجة إلى العراك أو الشجار لكي يعرف جيداً عدم جدواها أو نفعها.

إن العوامل الأسرية تؤثر في أساليب الشجار أو العداء الذي يتخذه كل ابن لنفسه فالابن الذي له أخ يكبره سناً يكون غالباً أكثر اعتماداً على قوته في سن مبكرة من الابن الذي نشأ في أسرة إفرادها من الفتيات.

ويلعب الآباء دوراً كبيراً في اكتساب الأبناء السلوك العدواني الذي يسفر عنه الشجار من خلال محاكاة الأبناء للاستجابات العدوانية التي تصدر عن الأباء فالابن يشاهد أباه

يحطم كل شيء حوله، وعندما يتسابه الغضب يقوم بتقليد هذا السلوك وقد يحاول بعض الإباء عمداً تعليم أولادهم وخاصة الذكور العدوان للدفاع عن أنفسهم أمام الغير ليكونوا رجالاً في المستقبل، فأحياناً ما يقف الأبوان موقفاً متساهلاً إذا اعتدى الأبناء على ابن أخر من الخارج، والابن الذي يعجز عن ضبط دوافع العداء هو الابن الذي يرى في المنزل هذا العداء ويزاوله، فالأم قد تضرب ابنها حين يهم هو بضربها وهي تقول له (سأعلمك عدم الاعتداء على غيرك) وهي في الواقع تعلمه العكس تماماً تعلمه إن العنف هو الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات وقد يكف الابن عن ضربها ولكنه قد يتحول إلى ابن لا يمكن بقاؤه بالقرب من ابن أخر أصغر منه سناً [13].

ويعتقد (باندور) في دراسته عن الآباء الذين يتسمون بالغلظة والقسوة مع أبنائهم فيتعلم أبنائهم السلوك العدواني، كما توصل إلى إن الآباء الذين كانوا يشجعون أبنائهم على المشاجرات مع الآخرين وعلى الانتقام ممن يعتدون عليهم والحصول على مطالبهم بالقوة والعنف كانت درجة العدوانية لديهم أكبر من درجة العدوانية عند الآباء الذين لم يكونوا يشجعون أبنائهم على السلوك العدواني بأي شكل من الأشكال، ودلت الدراسات على إن القسوة في عقاب الأبناء على عدوانهم في المنزل من خلال المشاجرات ترتبط ارتباطاً موجباً بمقدار ما يبديه الأبناء من عدوان في خيالاتهم، ومعنى هذا إن الأبناء الذين يستند أباؤهم في عقابهم يزداد عندهم العدوان في ألعابهم الوهمية بالدمى والعرائس وما إليها [12].

العنف داخل الأسرة:

إن ارتفاع معدلات الطلاق وتكرار الزواج عند الفرد الواحد في المجتمعات الصناعية والمتحضرة المعاصرة باتت مؤشراً للتحليل الاجتماعي أو مثلبة اجتماعية بل أضحت أحد مؤشرات الحداثة السلبية في تلك المجتمعات، مرادي هنا أن أطرح مصاحبات هذين المؤشرين للحداثة العصرية وهي العنف أو الإكراه والقهر الذي يمارس زوج الأم على أبناء زوجته الثانية (الأسرة المؤلفة) وزوجة الأب على أبناء زوجها الثاني والزوج على زوجته (في الأسرة العضوية).

فضرب الزوج زوجته لا يقره المجتمع ولا قوانينه الوضعية بل يعاقب عليه، لكن على الرغم من ذلك فأنه يمارس بشكل واسع في الأسرة الأمريكية المعاصرة، فضلاً عن ضرب

الأب لأبنائه بشكل قاس لا بدافع التربية التأديبية بل القهرية العنيفة، وهذا ما يرفضه المجتمع المعاصر ويعاقب قانونه الآباء والأمهات إذا مارسوا ذلك، أي الضرب بهدف الإذلال أو الإقهار، وهذا النوع من العنف تستخدمه الأسرة الأمريكية التي تقطن في المناطق الحضرية الفقيرة وبالذات عند الأسر التي يضعف فيها الانتماء الديني، ويمارس أيضاً من قبل الوالد العاطل عن العمل كذلك في الأسر التي فيها أربعة إلى ستة أبناء هذا من جانب ومن جانب أخر فإن زوج الأم يمارس السلوك العنفي والإقهار والذل على أبنائها إذا لم يخضعوا لأوامره وتعليماته أو توجهاته، وذلك لأنهم ينظرون إلى زوج الأم على أنه غريب عليهم لا يعطف ولا يحن عليهم ولا توجد رحمة وشفقة في كلامه أو تعامله معهم والحالة متشابهة عند زوجة الأب في تعاملها مع أبناء زوجها الثاني بسبب المسافة النفسية بينهما واستخدامها أسلوب التحريض والتأليب ضدهم عند أبيهم أو معاقبتهم عند مشاكستهم لها أو لتعليماتها فضلاً عن شعورهم بأنها إنسانة غريبة حلت محل أمهم واستحوذت على مكانتها فلا يرتاحون من كلامها حتى لو كان في صالحهم وراحتهم[14].

ملخص الدراسة:

يعرض الباحث فيما يلي ملخصاً شاملاً للمحاور الرئيسية للبحث : كان عنوان هذا البحث هو ظاهرة العنف الأسري بين الأبناء .

وتم تحديد إشكالية الدراسة التي تحاول الإجابة على تساؤلات الدراسة وهي :

-ما هي الأسباب الاجتماعية لظاهرة العنف بين الأبناء داخل الأسرة ؟

-وما هي صور وأشكال العنف الأكثر انتشاراً بين الأبناء في الأسرة ؟

وقد تمثلت الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة في المحاور الأتية:

التعرف على الأسباب المؤدية لظاهرة العنف بين الأبناء داخل الأسرة .

أما أهمية هذه الدراسة تكمن في دراسة ظاهرة العنف داخل الأسرة باعتباره من الموضوعات المهمة لاتساع نطاقه بين المجتمع وتعدد صوره وأشكاله وما يترتب عليه من مشكلات ، وتكمن أيضاً أهمية الدراسة أن موضوع العنف المحلي بين الأبناء داخل الأسرة يعد من الموضوعات الجديرة بالاهتمام في علم الاجتماع لأنه يتوقف على تربية الأبناء ،

داخل الأسرة وتماسك المجتمع المحلي وصيانته ، كما أن هذه الدراسة تعد محاولة لوضع بعض الحلول الوقائية لهذه الظاهرة .

النتائج الخاصة بالدراسة :

– تبين لنا أن بعض الأبناء يتعرضون للعنف الجسدي واللفظي داخل الأسرة .

– يتضح أن العنف داخل الأسرة يقع في اكثر الأحيان من قبل الأبناء الذكور على الإناث وقد يرجع ذلك لحب السيطرة للذكور والتحيز النفسي للأبن الأكبر .

– أن كبر حجم الأسرة له علاقة بزيادة العنف داخلها خاصة مع وجود اكثر من أسرة داخل المنزل الواحد في المجتمع المحلي .

– أن العنف اللفظي هو الأكثر انتشاراً بين أنواع العنف داخل الأسرة وقد يكون ذلك بسبب عدم وعي الوالدين بطرق التربية الصحيحة .

– يتضح أنه في بعض الأحيان أنه يكون لانخفاض مستوى المعيشة علاقة بالعنف داخل الأسرة وذلك بسبب كبر حجم الأسرة وارتفاع الأسعار وانخفاض دخل الأسرة .

– إن الأبناء يتعرضون لوسائل مختلفة في العقاب كالحرمان عن بعض الأشياء أو العنف المعنوي .

مراجع البحث :

1– انتصار يونسي ، السلوك الإنساني ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2004 م ، ص183

2– نظام غسان ، العنف الأسري ومعاملة الأطفال ، مركز التوعية والإرشاد الأسري 1999 م ، ص 45–46 .

3– معن خليل عمر، علم الاجتماع الأسرة ، دار الشروق، عمان، 1994 م، ص203.

4– عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970م ، ص87 .

5– رشاد عبد العزيز موسى، سيكولوجية الفروق بين الجنسين، مؤسسة المختار، القاهرة، 1998م، ص 166–168 .

6– محمد عماد الدين إسماعيل ، الطفل من الحمل إلى الرشاد ، ص194 .

7– إبراهيم عثمان ، مقدمة في علم الاجتماع ، مكتبة العلوم ، القاهرة ، 1989 م ، ص210 .

8– فاخر عاقل، علم النفس التربوي، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1985 م ، ص ص130–132 .

9- خليل أحمد خليل ، معجم المصطلحات الاجتماعية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت، 1995م، ص125 .
10- سناء الخولي الأسرة في عالم متغير ، دار المعرفة الجامعية ، ص180 .
11- فوزي محمد جبريل ، الصحة النفسية السيكولوجية الشخصية ، دار المكتبة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 م ، ص ص177-179 .
12- سامية محمد ، مفهوم الأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 م ، ص160 .
13- وفيق صفوت مختار، مشاكل الأطفال السلوكية، الأسباب وطرق العلاج، دار القلم والثقافة، بيروت، 1999 م ، ص146.
14- غني ناصر القريش ، مقدمة في الضبط الاجتماعي ، دار النشر المكتبية ، طرابلس العلمية العالمية ، 2005 م ، ص ص133-134 .